

المشروع الإصلاحى عند عبد الحميد بن باديس

The Reform Project of Abd El Hamid Ben Badis

Le Projet De Reforme De Abd El Hamid Ben Badis

هرنون نصيرة^{1*}

1-المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر

تاريخ النشر: 2018/12/19

تاريخ القبول: 2018 /11 /21

تاريخ الإرسال: 2018 /04/12

الملخص:

الهدف من هذا البحث هو التعرف على مبادئ وأسس مشروع نهضوي عربي تجديدي لا يقل أهمية عن المشاريع التي ظهرت في المشرق العربي وأخص بالذكر مشروع عبد الحميد بن باديس. فما هو مفهوم الإصلاح؟ وماهي دواعي الحاجة إليه في نظر ابن باديس؟ و ماهي مجالات المشروع الإصلاحى الذى أسس له؟ وما الهدف الذى سعى لتحقيقه؟

مفهوم الإصلاح الذى اعتمده ابن باديس هو نفسه عند معاصريه، أما الحاجة الملحة التى تطلبت هذا المجهود الإصلاحى هو السياسة الاستعمارية التى سعت لهدم مقومات الشخصية الجزائرية، الأمر الذى دفع الشيخ للتفكير في إصلاح كل المجالات، وهدفه من ذلك، غرس بذور الروح الوطنية وبناء قاعدة شعبية تتبنى أفكاره التحررية وتكون الزاد الذى يغذى مطلب الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية : التنصير ، الفرنسة، الإصلاح الديني ، الإصلاح الاجتماعى ، الإصلاح الأخلاقى

Abstract :

The aim of this research was to identify the principles and foundations of an innovative Arab Renaissance project that was no less important than the projects that emerged in the Arab Mashreq, especially the Abdul Hamid Ibn Badis project. How can we define the concept of this reform ? What were the reasons for this need according to Ben Badis? What were the areas of the reform project that he established? What was the goal that he sought?

The concept of reform adopted by Ibn Badis was the same as that of his contemporaries.

The urgent need for this reforming effort was due to the colonial policy that sought to destroy the constituents of the Algerian personality. This pushed the Sheikh to think about reforming all areas. Through all that, he intended to cultivate the national spirit and to build a popular basis that would adopt his independent ideas, and that would constitute the vitamin that could nourish the claim for freedom and independence.

Keywords: Christianization, Frenchism, religious reform, social reform, moral reform

Résumé :

Le but de cette recherche était d'identifier les principes et les fondements d'un projet novateur de la Renaissance arabe qui n'étaient pas moins important que ceux qui avaient vu le jour dans le Machrek arabe, notamment le projet Abdul Hamid Ibn Badis. Comment définir le concept de cette réforme ? Quelles étaient les raisons de ce besoin selon Ibn Badis ? Quels étaient les domaines du projet de réforme qu'il avait fondé ? Quel but cherchait-il? Le concept de réforme adopté par Ibn Badis était le même que celui de ses contemporains : la politique coloniale qui cherchait à détruire les éléments de la personnalité algérienne avait généré le besoin urgent de cet effort réformiste. Cela avait poussé le Sheikh à envisager de réformer tous les domaines. A travers tout cela, il avait l'intention de cultiver l'esprit national, et de construire une base populaire qui adopterait ses idées 'indépendistes', et qui constituerait la vitamine qui pourrait nourrir la revendication pour la liberté et l'indépendance.

Mots-clés: christianisation, frenchisme, réforme religieuse, réforme sociale, réforme morale

مقدمة:

عاشت الأمة العربية و الإسلامية ظروفًا، سياسية، اقتصادية واجتماعية، متشابهة في الفترة الممتدة ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر، تميزت هذه الفترة باتساع فجوة التقدم الحضاري الغربي عن العالم العربي فعلى خلاف التقدم والتحضر الذي تتمتع به أوروبا، تعاني المجتمعات العربية من الجهل والتبعية والتخلف والجزائر كباقي الدول العربية، عاشت نفس الظروف، و عانت من قهر الاستعمار الفرنسي وتعنته ومحاربتة لمقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية التي اعتقدت فرنسا أنها قضت عليها لأنها أحكمت قبضتها على كامل التراب الوطني، خصوصًا بعد احتفالها بالذكرى المئوية الأولى لغزو الجزائر سنة 1930.

اعتقدت فرنسا أن مشروعها الاستعماري قد نجح وأن الجزائر أصبحت فرنسية، لكن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1931 كان عاملاً محبطاً للمخططات الفرنسية.

ويتضح ذلك من خلال مشروع عبد الحميد بن باديس الإصلاحى الذي سعى من خلاله لنشر الوعي بين الشباب المسلم وراهن على ضرورة التخلص من الاستعمار الفرنسي مهما طال الزمن.

وعليه حدّدنا مشكلة بحثنا بوجه عام بالمشروع الإصلاحى عند ابن باديس والتي يمكنها أن تنحل إلى جملة من التساؤلات الجزئية: ما هو مفهوم الإصلاح؟ وماهي دواعي الحاجة إليه في نظر ابن باديس؟ ماهي مجالات المشروع الإصلاحى الذي أسس له ابن باديس في الجزائر؟ وما هو الهدف الذي سعى لتحقيقه؟

1- مفهوم الإصلاح :

معنى الكلمة في العربية: صلح-صلاحًا وصلوحًا: زال عنه الفساد. وصلح كان نافعًا أو مناسبًا و " أصلح في عمله أو أمره أتى بما هو صالح ونافع.

وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه" و " الإصلاح نقيض الإفساد" (ابن منظور، ص. ص. 516، 517) الغرض منه تجاوز ما فسد من الأمور.

- والإصلاح يعني على وجه العموم لغويًا: "إحداث تغيير في الشكل أو الحالة، وقف خلل، أو إدخال أسلوب عمل أفضل. ويعني عندما يصبح علما، الأفكار والبرامج والحركات التي استهدفت إحداث تغيير في شكل السلطة وتغيير في وضع المجتمع العربي، ووقف الخلل فيه" (معن زيادة، 1988، ص 131) المقصود هنا إصلاح ما لحق من فساد وتغيير الأوضاع نحو الأفضل.

- الإصلاح فى المصطلح الإسلامى: أطلق هذا المصطلح على كل دعوة استهدفت العودة بالإسلام إلى طهارته الأولى...
.... وكان الإصلاح يعنى عادة التعريف بالإسلام الصحيح اعتماداً على القرآن والسنة، كما يعنى العمل لتطابق حياة المسلمين مع نظم دينهم وقيمه.

كما كان "المصلحون بهذا المعنى يظهرّون فى كل جيل فيلتزمون الدفاع عن الإسلام الصحيح والسنة ويجارون بالبدع. ومن أبرز هؤلاء قديماً أبو حامد الغزالي 1059-1111 و ابن حزم 994-1064 وابن تيمية 1263-1328. أما حديثاً فهناك محمد بن عبد الوهاب 1703-1792 ومحمد علي السنوسي 1787-1859 وتلا هؤلاء أجيال من المصلحين منهم جمال الدين الأفغاني 1838-1897 ومحمد عبده 1849-1905 ومحمد رشيد رضا 1865-1935" (معن زيادة، 1988، ص133)

والفرق بين الأولين والآخرين "أن الأولين كانوا مقتنعين أن ما أصاب العرب والمسلمين هو نتيجة سوء فهم الإسلام وسوء تطبيقه، وأن العودة إلى الأصول فقط كفيلة بتحقيق الوحدة والتحرر من الجمود والبدع. وأن التحدي الخارجى لا يواجه إلا بنهضة داخلية، تنبثق من مقومات المجتمع الإسلامى الداخلية. ولم يكن هناك تقدم فى الخارج وتختلف فى الداخل ولا علوم وفنون ونظم، لا نستطيع التقدم بدونها أو دون بلورة بدائل لها وهذا ما التزم به دعاة الإصلاح من أبي حامد الغزالي إلى محمد عبد الوهاب إلا أن المصلحين المحدثين، من الأفغاني إلى رشيد رضا على اختلاف فيما بينهم كانوا أمام وقائع جديدة. فهناك تفوق الدول الاستعمارية وتفوق آلتها العسكرية، وازدهار جامعتها ومعاهدها وتقدم علومها وفنونها وتحدي نظمها وقيمتها ولذلك كان المصلح المحدث أمام ثلاثة تحديات: (1) -تحدي التكنولوجيا (2) -تحدي العلم (3) -تحدي المؤسسات الدستورية فى الدول القومية الأوربية فكيف يواجه هذا كله؟(معن زيادة، 1988، ص 133)

اتفقت إجابات المصلحين "المشار إليهم على عدد من القضايا، أبرزها ما يلي: أ-العودة إلى الأصول، والتحرر من البدع والجمود، تغليب الوحدة على الانقسام. ب-العودة إلى العقل فى تمحيص القضايا، والتحرر من النقل إلا فى الأصول.

ج-دخول المواجهة مع الفكر الغربى من خلال الدفاع عن الإسلام وتبيان منطقته العقلي وصلاحه لكل زمان ومكان وقدرته على مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية واستيعاب منجزات الفكر والعلوم دائماً. وهنا كان المصلحون سلفيين من جهة ولكنهم كانوا حريصين على التجديد السياسى والحضارى.

وهكذا التقى المصلحون المحدثون مع المصلحين القدماء فى العودة إلى الأصول واختلفوا عنهم فى خوض المعركة السياسية والاجتماعية والاستعداد لتبني علوم حضارة أخرى وصناعتها" (معن زيادة، 1988، ص134).

من خلال هذه المفاهيم نستخلص أن مفهوم الإصلاح عند الشيخ عبد الحميد هو إرجاع الشيء إلى حالة الاعتدال بعد فسادة وهو لا يختلف عن مفهوم الإصلاح عند مفكرى الإصلاح فى المشرق العربى أمثال الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي

فقد سعوا جميعا لبعث يقظة فكرية ووعى قومي وديني يؤديان إلى تحرير الإنسان من ذله ووهنه وضعف هو المجتمع من أمراضه، والدين من الشوائب التي علقت به، والبلاد من كابوس الهيمنة الأجنبية وظلم المستبدين.

كان هدفه إصلاح الأوضاع الفاسدة التي يعيشها الشعب الجزائري في جميع المجالات وكانت فكرة العودة لصفاء الإسلام ونقائه في الصدر الأول للإسلام هي أساس الإصلاح والسبيل إلى ذلك هو العلم والتعليم ورفع حجاب الجهل، لأن ظروف العصر التي سادت العالم العربي ككل في تلك الفترة هي نفس الظروف التي عاشها الشعب الجزائري ولا نبالغ في القول ان الجزائر بصفة خاصة عانت من التعتن الاستعماري أكثر من باقي الدول العربية نظرا لأن الظروف السياسية كانت مختلفة.

وحتى تتمكن من إبراز إسهامات عبد الحميد بن باديس الإصلاحية لابد من التعريف بمشروع السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لأن جوهر الفكر الإصلاحى عنده كان نتاج لموقفه الرافض للاستعمار الفرنسى.

2-المشروع الاستعماري الفرنسي: منذ وطئت أقدام المستعمر الفرنسى الجزائر وهو يعمل سرا وعلانية على ضرب مقومات الشخصية الجزائرية بغرض إدماجها في الكيان الفرنسى ومحو التراث العربى الإسلامى الذى تعتر به، وفي سبيل تحقيق ذلك سطرت فرنسا برنامجا خاصا جسده في سياسة التنصير، الفرنسة، التحهيل والتفقير، الإدماج والتجنيس.

2-1 سياسة التنصير :

أدركت فرنسا منذ البداية أن سر قوة الجزائريين هو الدين الإسلامى " لأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن القرآن هو سبب السخط الشعبى عليهم ، بل إن أحد النواب الفرنسيين أكد في البرلمان أن القرآن هو الذى يجرى المسلمين على أذية الفرنسيين"(الميلى، 1980، ص 40) فقررت ضربه لتسهل عليها المهمة التي جاءت من أجلها"علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهذا لدولة مسيحية يضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل تلك هي رسالتنا "(كولجيت و جانسون، 1957 ص 41) وفي نفس الكتاب وردت مقولة لسكربتير الجنرال الفرنسى بوجو peugeot "إن أيام الإسلام قد دنت و في خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله آخر غير المسيح - ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه البلاد تملكها فرنسا - فلا يمكننا أن نشك على أي حال من الأحوال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد - أما العرب (ويقصد بذلك الشعب الجزائرى) فلن يكونوا رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحوا جميعا مسيحيين"(كولجيت وفرانيس جانسون، 1957 ص 41) وقد كان الجنرال بوجو، يجمع أطفال الجزائريين اليتامى ويأتي بهم إلى القسيس فيسلمهم لتمسيحهم.... يا أبتي حاول أن تجعلهم مسيحيين و إذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار"(فرحات عباس، ص 91).

فالجيش العسكرى يقتل ويشرد العائلات ويجوعهم وجيش المبشرين يساوم الشعب على دينه "لقد كان الجيش الأول مثلا يقوم بالمجوم على ناحية من نواحي القطر فيدمر مساكنها، ويحرب مزارعها، ويفتك برجالها ونسائها، وبعد أن ينهي مهمته على الوجه المطلوب، يخلي مكانه للجيش الثانى كى يكمل بقية المهمة حيث يأتي رجال التبشير يحملون الخبز والدواء والكساء في يد والإنجيل والصليب في يد أخرى، فلا يطعمون البطون الجائعة، ولا يداوون الجروح الغائرة، ولا يكسون الأجسام العارية، إلا إذا قبلت الضحية التخلى عن أقدس مقدساتها، وهو دينها الحنيف ورضيت بالدخول في النصرانية"(عمامرة، 1984، ص 42) فقد

حاولوا استغلال ضعف أبناء الشهداء وعوزهم حتى يتمكنوا من تحقيق مآربهم ، رغم توقيعهم على معاهدة مع حكومة الجزائر على احترام الدين الإسلامى لكن فرنسا لم تحترم هذا الاتفاق وأمر قائد حملتها بالاستلاء على جامع كمشاوة و هو أجمل الجوامع فى العاصمة من أجل تحويله إلى معبد لإله المسيح فبعد مرور شهرين فقط على التواجد الفرنسى فى الجزائر أصدرت فرنسا أمرا يقضى بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامىة التى تمول الخدمات الدينية والاجتماعية للجزائريين ، معتقدة بذلك أنها ستنتصر الجزائريين وتبعدهم عن الإسلام الذى يشكل قطب الرضى فى تراثهم الفكرى والروحى ومحاولة فرنسا لتنصير أما زيغ الجزائر معروفة لا يتسع المجال للخوض فيها. وقد باءت محاولاتهم بالفشل رغم الجهود الجبارة التى قامت بها فرنسا وبناءها للكنائس والمعابد اليهودية وتهديمها للمساجد إلا أن الشعب الجزائرى لم يتحول عن دينه وقليلة هي النفوس الضعيفة التى رضخت للاستعمار واستجابت لمطالبه.

2-2 سياسة الفرنسية: سعى من الاستعمار الفرنسى لتحقيق سياسة الفرنسية حارب اللغة العربية بكل قواه وقد ورد فى إحدى التعليمات التى صدرت عن الاحتلال "إن بلاد الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية والعمل الجبار الذى يتعين علينا إنجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالى الجزائريين بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم". (عمامرة، 1981، ص 61) ولتحقيق هدفه أقام الاستعمار الفرنسى إدارة جديدة على أنقاض الإدارة الجزائرية مُفرنسة إياها ففرنسة كاملة حيث " قامت بفرنسة المحيط الاجتماعى الجزائرى بحيث تحولت أسماء الشوارع والساحات العامة، والمعالم الأثرية، وأسماء المدن ، وأسماء القرى ، من أسمائها العربية الجزائرية إلى أسماء فرنسية فمدينة الجزائر أصبحت ألبى- وهران أوران - والأربعاء بني إيراثن إلى فور ناسيونال- ومدينة مشدالة إلى ميشلى - ومدينة العلمة إلى سانطارنو- وعنابة بونا... أما أسماء الشوارع فقد أصبحت تحمل قادة وزعماء وجنرالات فرنسيين مثل باسكال - ولافايات - وميشلى - وديزلى، إلى غير ذلك بحيث أصبح الزائر للجزائر بعد الاحتلال بسنوات قليلة يظن نفسه أنه فى بلاد أوروبية وليس فى بلاد عربية إسلامية " (عمامرة، 2003 ، ص 81).

كما حاولت فرنسا استعمال الحيلة فى التفرقة بين أبناء الجزائر وذلك بسعيها إلى فرنسة الأقلية الأمازيغية التى تعيش فى الجزائر حيث " أصدرت فرنسا سنة 1859 قانونا يخرج القبائل البربرية أو الأمازيغ فى منطقة جرجرة عن أحكام الشريعة الإسلامىة وهدفها من وراء ذلك هو تنصير الأمازيغ من ناحية ، وزرع الخلاف والشقاق بينهم وبين بقية سكان القطر من ناحية أخرى " (عمامرة، 2003 ، ص 46) لكن جمعية العلماء المسلمين كانت بالمرصاد " فقد أثبتت الجمعية للاستعمار أن الدماء البربرية التى مزجت الدم العربى أصبحت عربية بحكم الإسلام وبحكم العمومة والخزولة الممتدين فى سلسلة من الزمن ذرعها ثلاثة عشرة قرنا مزاج فطرى أحكمت القدرة على تداخل أجزائه " (الإبراهيمى، 1997، ص 58) استولت فرنسا على المدارس والمعاهد العلمىة وحولت لغة التعليم من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية وطبقت النظام التعليمى الفرنسى فى الجزائر وطرقت اللغة العربية من جميع المجالات معتقدة بذلك أنها قضت عليها .

2-3 سياسة التجهيل والتفقير :

تتضح سياسة التجهيل التي تبنتها فرنسا في استيلائها على كل المعاهد والمدارس وتطبيقها لبرامج تعليم فرنسية الأمر الذي دفع أغلب العائلات الجزائرية إلى منع أبنائهم من الذهاب إلى المدارس الفرنسية، لأن التعليم فيها ليس فيه شيء من العربية، خوفاً عليهم من الانحراف عن العروبة والإسلام وهذا ما ساعد فرنسا على تحقيق مآربها وسهل عليها عملية التحكم في المجتمع لأن قيادة المجتمعات الجاهلة أمر سهل وبسيط.

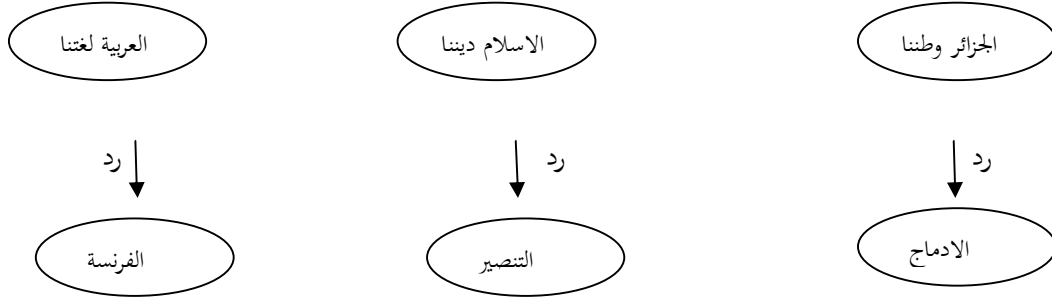
لم تدخر فرنسا جهداً نحو اللغة العربية من ألسنة الجزائريين بل ومن عقولهم وذاكرتهم بالتهديد تارة ، وبالمساومة تارة ، وبالخيلة تارة أخرى "وتبرز سياسة تجهيل أبناء الجزائر في أجلى مظاهرها، في أن أولاد الأوروبيين الذين هم في سن التعليم الابتدائي يتلقون جميعهم تعليمهم في مدارس راقية وعلى معلمين مقتدرين - على حين لا يتلقى أبناء الجزائر في المرحلة الابتدائية سوى 19% فقط منهم التعليم في هذه المرحلة أما الباقون وهم حوالي 2.400.000 فقد حكم عليهم بالتشرد والجهل ويعمل السواد الأعظم منهم كماسحي أحذية أو حمالين أو بائعين متجولين" (عمامرة، 2003 ص 84) وحتى الذين يسعفهم الحظ في الدخول إلى المدارس الفرنسية فإنهم يتعلمون في مدارس خاصة بأبناء الجزائر ولا يدرسون إلا 50% أو أقل من البرامج.

وحال التعليم الجامعي لا يختلف عن حال المدرسة فقد كانت هناك جامعة واحدة في العاصمة هذا عن التفجير الفكري أو التجهيل. أما عن التفجير المادي فإن فرنسا لم تتوانى عن مصادرة أراضي الجزائريين الفلاحية وتوزيعها على المعمرين الأوروبيين الذين جلبتهم معها من مختلف الأقطار الأوروبية لتعمر بهم الجزائر. "بعد الاحتلال مباشرة استولت فرنسا على كل أراضي الأوقاف الإسلامية التي كانت تلعب دوراً هاماً في توفير التعليم والرعاية الاجتماعية لمختلف فئات المجتمع الجزائري وبالاستيلاء عليها تدهور وضع التربية والتعليم تدهوراً كبيراً ، كما تدهورت الرعاية الاجتماعية بالنسبة للفقراء، والمحتاجين ، والعجزة ، والشيوخ بدورها تدهوراً كبيراً (عمامرة، 2003 ص 83) فقد كان شعار الجنرال بيجو حيثما توجد مياه غزيرة وأراضي خصبة يجب أن يقيم المستعمرون الأوروبيون دون الاهتمام بالسؤال عن يملك تلك الأراضي ونلتمس هذا من خلال قول بيجو " يجب أن يهجم أكبر عدد ممكن من الفرنسيين والأوروبيين على الجزائر ، ويجب أن تبعثوا بمعمرين تمكنوهم من أحسن الوضعيات لكي تكسبوهم ، وهؤلاء المعمرين يجب أن تعطى لهم الأراضي الخصبة والواقعة على مجاري المياه من غير بحث عن من يملك هذه الأراضي قبلاً - لأنه يجب أن تقسم عليهم قبل كل أحد" (الجنرال بيجو: 1959) أما مصير الملاك الجزائريين فهو النفي والطرده إلى الصحراء . وهكذا تضمن فرنسا إبعاد أصحاب الأراضي وتفجيرهم من جهة أخرى.

2-4 سياسة الإدماج: لجأت فرنسا لسياسة الإدماج حتى تعزز مشروعها الاستعماري في الجزائر، وتشكل هذه النقاط العمود الأساسي في المشروع الاستعماري الفرنسي، الذي حاولت فرنسا من خلاله محو الجزائر من خريطة العالم وجعلها مستعمرة فرنسية لكنها لم تنجح في مسعاها في وجود رجال أناروا ليالي الجزائري الخالكة أمثال ، عبد الحميد ابن باديس ، والبشير الإبراهيمي ، والطيب العقبي ومبارك الملي ، والعربي التبسي ، ورد في جريدة الشهاب نص لابن باديس يقول فيه " نحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات و المميزات لجنسيتنا القومية ، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أن من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية واننا مازدنا على الزمان الا قوة فيها وتشبثنا بأهدابها وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلاً عن إدماجنا أو محونا" (ابن باديس، 1937).

3- تجليات المشروع الإصلاحي عند ابن باديس: يشكل الشعار الذي حمله ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين

"(الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربية لغتنا)" ردا مباشرا على المشروع الاستعماري الفرنسي.



(الجزائر وطننا ، رد صريح على سياسة الإدماج) ، (الإسلام ديننا ،رد مباشر على سياسة التبشير بالمسيحية وضرب لجمعية الآباء البيض) ، (العربية لغتنا ، رد مباشر وصريح على سياسة الفرنسة لتي انتهجتها فرنسا في الجزائر) فقد حاربت الجمعية العنصرية التي كان يُغذيها الاستعمار وجعلها من أفتك أسلحته لقطع أوصال الأمة وأثبتت للجزائر نسبها العربي و" حاربت سياسة الإدماج في جميع مظاهرها ، وقاومت التجنيس ونازلت أنصاره حتى قهرتهم وأخرستهم وقطعت الحبل في أيديهم ثم أفتت فتواها الجريئة فيه يوم كانت الفتوى في مثل هذه المسائل بابا من العذاب ، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار وإبطال لكيده وتعطيلا لسحره و أثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها"(البشير الابراهيمي،1964، ص 69)حققت الجمعية للجزائري نسبة العربي الذي حاولت فرنسا محوه مرارا " وجاءت جمعية العلماء على عبوس من الدهر.....فنفتخت من روح العروبة في تلك الأنساب فإذاهي صريحة وسكبت من سر البيان العربي في تلك الألسنة فإذا هي فصيحة و أجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز فإذا هي ناصعة بيضاء لم يزداهم تقادم الزمن إلا جدة"(الابراهيمي ،1964ص57) هذه الجمعية أثبتت للاستعمار أن الدم البربري أصبح عربي عربيه الإسلام فوضعت بذلك سدا منيعا أمام محاولات فرنسا في التفرقة بين العرب و الأمازيغ، إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهم حقائقه وإحياء آدابه وتاريخه...وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها في موطن عربي وبين قوم من العرب وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدنيا ، فالجمعية لم تتوانى في الدفاع عن أي حق من حقوق الإسلام حيث وقفت في وجه المبشرين بالمسيحية وعملت على توعية الشعب ودعوته لطلب العلم على أسسه السليمة وحرصت على غرس فكرة العروبة وحب الوطن في عقول ونفوس الجزائريين .

شعار الجمعية عبر عن جوهر المشروع الذي تبناه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي سعى للتغيير لا للإصلاح فقط ، أكد مالك ابن نبي أن "معجزة الحياة في الجزائر قد بدأت بصوت ابن باديس وندائه الذي أيقظ المعنى الجماعي وحول مناجاة الفرد إلى حديث الشعب" (بن نبي،1969،ص 23) فهو أول الرجال الذين تنبهوا لضرورة التغيير ، تغيير أوضاع الشعب الجزائري وتحريره من الذل والتبعية ولا نبالغ إذا قلنا مع أبو القاسم سعد الله ، لعله من الممكن أن نقول أنه لاوجود لشخصية في العصر الحديث ، أثرت على كامل التراب الجزائري كما فعل ابن باديس ، فقد قضى سواده على القضية الجزائرية ولم يمانع في قضاء بياضه أيضا في سبيل تحريرها.

آمن ابن باديس أن نور العلم هو السبيل الوحيد للقضاء على سياسة التجهيل التي انتهجتها فرنسا منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر، كما أنه الملاذ الآمن الذي يساعد على إصلاح عقيدة الجزائريين، وإصلاح عقولهم ونفوسهم التي أضعفها الاستعمار، ومن ثمة إصلاح المجتمع بأكمله لذلك انشغل بالإصلاح الديني، والإصلاح الأخلاقي، والإصلاح الاجتماعي ويمكننا توضيح ذلك فيما يلي.

3-1 الإصلاح الديني: استمد ابن باديس أصول وقواعد منهجه الإصلاحى الدينى من القرآن حيث يقول "لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن، إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام و الآداب عليه." (ابن باديس، ص75) وهذا ما أكده الشيخ البشير الإبراهيمي أيضا في قوله: "إن الأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية ما سقطت في هذه الهوة السحيقة من الانحطاط إلا حين فقدت القيادة الرشيدة في الدين... فإذا وجدت الأمة هذه القيادة.. وجدت نفسها ومن وجد نفسه وجد الحقيقة" (الإبراهيمي، 1997، ص 56). "فالقرآن الذي كون من قبل مجتمعا عظيما سليم العقل، والضمير والوجدان قوي الجسم والخلق والإرادة، هو الذي بالعودة إليه مرة أخرى والفرار إليه كفييل بإنقاذ هذا المجتمع من كل ما يعانیه ودفعه في طريق العزة والقوة لمصارعة أعداء الإسلام الذين احتلوا أرضه واستعبدوا المسلمين وأذقوهم أنواعا من الذل والهوان حتى يمكنه القضاء عليهم وإعادة العزة والكرامة للمسلمين" (عمامرة، 1984، ص 217).

أدرك ابن باديس أن حالة تدهور العقيدة لدى المسلمين وتسرب الشرك الخفي إليهم هي سبب التخلف الذي يعانون منه "لذلك ليس هناك علاج لهذه الحالة إلا بإصلاح العقيدة الدينية من سائر مظاهر الشرك الخفي الذي تسرب إليها عن طريق الجهل بالإسلام ثم عن طريق رجال الطرق الصوفية الذين أكثروا من البدع في الدين ونشروا نوعا من الشرك بالله عندما ادعوا لأنفسهم صفات الربوبية بين عامة المسلمين" (عمامرة، 1984، ص 213) فقد أوهما العامة من الناس بأنهم قادرون على العطاء والمنح وقادرون في ذات الوقت على المنع والحرمات وغرضهم من ذلك هو ابتزاز أموال العامة وشغلهم عن مقاومة فرنسا كل ذلك هو نتيجة لسياسة التجهيل التي اعتمدها فرنسا في الجزائر حيث تسلل الضعف لعقيدتهم وزاغوا عن حقيقة الدين الإسلامي وسماحته فباتوا يتقربون إلى الله عن طريق التمسح بالقبور وتقديم القرابين فرجعوا إلى الجاهلية الأولى دون قصد، ولكن بإيعاز من رجال الطريقة المحتالين فراحوا يطلبون الآخرة وانشغلوا عن الدنيا وعن حقيقة الاستعمار الفرنسي للجزائر لكن ابن باديس حارب الطريقتين بكل ما أوتي من قوة "وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبييل حجارها ونصب الثوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها، فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان محمد (ص) يسعاه وأصحابه من بعده فساعياها موزور غير مشكور" (شاهين، 1968، ص 73) لذلك شن حربا شعواء ضد الطريقتين بقصد تطهير عقيدة الجزائريين من الزيف الذي دنسها.

يقول ابن باديس "فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناها نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب، ولا نهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه وبدأ كل واحد به في نفسه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه ثم في جميع أهل ملته" (ابن باديس، 1968، ص 164)

ذلك أن فرنسا استطاعت إغراء بعض الطريقين وجعلتهم في صفها وهذا ما أسماه الشيخ البشير الإبراهيمي بالاستعمار الروحاني " ويمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المتاجرون باسم الدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية" (الإبراهيمي، 1964، ص 145) استغل الطريقين سطوتهم الدينية في إذلال الشعب الجزائري والتلاعب بمشاعره واعتقاداته مقابل الأموال التي تقدمها فرنسا فكانوا بذلك حجر عثرة في طريق جمعية العلماء المسلمين التي قررت محاربتهم بكل قوة من وهنا يتقاطع الإبراهيمي مع ابن باديس في سعيهم لنشر الوعي بين أبناء الشعب الجزائري " حاربنا الطريقة لما عرفنا فيها - علم الله- من بلاء على الأمة من الداخل و من الخارج فعملنا على كشفها وعلى هدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ... فكل طريقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام و له عقليته لا يسمع منا فيها كلمة ، وكل طريقي أو غير طريقي يكون أذنا سماعة وآلة مسخرة، فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله" (ابن باديس، 1937، ص 1، 7) فقد حارب عملاء فرنسا من الطريقين دون غيرهم، حارب ابن باديس المضللين لاعتقاده الراسخ بأن النهضة لن تتحقق إلا بإصلاح النفوس وتطهير المجتمع من الضلال الذي لحق به.

3-2 الإصلاح الأخلاقي:

حرص ابن باديس كل الحرص على ضرورة إصلاح أخلاق الجزائريين وبعث روح الأخلاق الإسلامية فيه من جديد لأن رياح الاستعمار قد عصفت بها وأبعدت الجزائريين عن أخلاقهم الحقيقية التي كانوا يفتخرون بها والتي كانت تميز شخصيتهم عن شخصية المستعمر الفرنسي، وقد كان السند الذي اعتمد عليه هو الدين يقول: "وقد جاء القرآن الكريم مبينا للأخلاق الفاسدة ، وذاكرا سوء أثرها وقبح مغبتها مبينا كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها ، وحسن عاقبتها فهذا شفاؤه للنفوس والعقول ، وهو راجع إلى تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، وبهما سلامة الأرواح وكمالها" (ابن باديس، 1968، ص 187) وفساد الأخلاق يؤدي إلى فساد الأعمال في نظره. بما أن الانسان هو منبع الأخلاق اقتضت الضرورة إصلاح الفرد حتى تنصلح أخلاقه " يعتقد ابن باديس أن التربية الأخلاقية يجب أن تقوم على أساس تربية خلق الفرد وضميره وإصلاح عقيدته حتى يمكن للإصلاح الاجتماعي والتربوي والديني أن ينجح على نطاق الوطن أو الأمة" (عمامرة ، 1984 ، ص 284) لذلك يقول عبد الحميد: "إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا ، هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله " (ابن باديس، 1968، ص 196) والتربية الأخلاقية في نظره هي التي تعصم المسلم من الوقوع في الزلل وتمنعه من خيانة وطنه لذلك دعا الشعب الجزائري خاصة والشعوب العربية عامة أن تنزه عن مفاصد الأخلاق وتحليتها بمكارمها .

فقد كان يدعوا للتواضع في غير مذلة وإلى التسامح ومحاربة العجب والكبرياء والغطرسة وقد حصر مجالات التربية في ثلاث نقاط رئيسية هي البيت، المدرسة، المجتمع. يقول: "البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات، وقلة تديهن" (ابن باديس، 1968، ص 201) لذلك سعى بكل جهده لتعليم المرأة لأنها قطب الرحى التي تدور حولها الحياة الاجتماعية.

حيث ألقى العنصر النسوي من دفع رسوم الاشتراك تشجيعاً لهم على الإقبال على طلب العلم والمعرفة، حتى يتمكن في المستقبل من تربية أبناءهم تربية إسلامية ومن ثمة القضاء على التدهور والانحطاط الأخلاقي الذي لحق بأبناء المجتمع الجزائري. فدور الأم يأتي في المرتبة الأولى وبعدها يأتي دور المدرسة بعد أن تهيئ الأم الأرضية ثم يأتي دور المجتمع حيث يطبع سلوك الفرد بطابع إسلامي ويغرس فيه العادات والتقاليد الجزائرية.

3-3 الإصلاح الاجتماعي:

رأى ابن باديس أن إصلاح المجتمعات ينطلق من إصلاح الأفراد وبالذات إصلاح النفوس أي إصلاح داخلية الفرد كي ينعكس ذلك إيجاباً على سيرته وسلوكه في المجتمع لأن "صلاح النفس هو صلاح الفرد وصلاح الفرد، هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس إما مباشرة وإما بواسطة، فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع عليها بصلاح وما من شيء نهى الله عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو راجع عليها بالفساد فتكميل النفس هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل وشرع الشرائع" (ابن باديس، 1968، ص 96) صلاح النفوس يضمن صلاح الأعمال يقول: "لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عقلاً وروحاً وبدناً لازمة له ليكون ذا أثر نافع في الناس على اختلاف منازلهم منه في القرب أو البعد، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر، فلا يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملاً مشتتاً لا يهديه علم ولا يمتنه خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه - وإنما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضي وأصلح من شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل، يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه، معرضاً عما لا حاجة له به أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصالحته" (ابن باديس، ص 17) لذا لزم تطهير النفس من الضعف والانحطاط الذي علق بها لتتولد لدى الإنسان الثقة بالنفس الطاهرة التي تساعد الفرد على خوض مشقات الحياة والصمود أمام الصعاب. نخلص إلى القول بأن الغرض من كل الإصلاحات التي انشغل بها ابن باديس هي تغيير أوضاع الشعب الجزائري وقلب الموازين والمكاييل التي تكيل بها فرنسا.

3-4 إصلاح اللغة العربية:

أدرك ابن باديس منذ الوهلة الأولى أن مشروعه الإصلاحى لن يتحقق إلا إذا أعاد الاعتبار للغة العربية وسهر على سلامتها وبالتالي ضرب سياسة الفرنسة التي انتهجتها فرنسا من مئة عام خلت.

يقول ابن باديس: "ان كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو أي شيء من مقوماتهم هي محاولة فاشلة، مقضي عليها بالخيبه" (ابن باديس، ص 355) فقد عجزت فرنسا عن اقتلاع اللغة ألسنة الجزائريين وعن محو العقيدة الإسلامية من صدورهم رغم محاولاتها المتكررة والمستمرة بالترغيب تارة وبالغف وبالتميز العنصري تارة أخرى، فاللغة هي وسيلة التواصل بين كبار الجزائر وصغارها وهي المقوم الأساسي لأي أمة.

فالأمة التي لا تحترم لغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة من بين الأمم ولا ينظر لها إلا على سبيل الاحتقار فكل إصلاح متوقف أساسا على الاهتمام باللغة والتعليم." فاللغة عنده هي الوسيلة الأولى للإبلاغ والتفاهم وانتشار الأفكار الإصلاحية وهي الأساس في تطوير المناهج الدراسية في المعاهد الدينية، فإصلاح التعليم متوقف على مدى إصلاحها". (درويش، 1995، ص 6). لذلك رفض أسلوب التعليم الذي كانت تفرضه فرنسا والذي كان يقتصر على تعليم اللغات الأجنبية ويهمل اللغة الأصلية للجزائريين وسهر على بناء مدارس عربية، كما جند نفسه لتعليم اللغة العربية في المساجد، إلى جانب انشغاله باللغة انشغل أيضا بإصلاح أمور الدين لأن صلاح المسلمين إنما هو بفهمهم للإسلام وعلمه به، وقد تعرضت العقيدة الإسلامية للتشويه من قبل بعض الطرفين الذين كانوا متآمرين مع فرنسا في تحقيق مخططاتها مقابل المال والجاه والسلطة، فشجعوا الناس على الكسل والحمول وزيفوا مفهوم الدين والعمل والعبادة وأوهمو الشعب أن عزّ الطلب هو طلب الآخرة، لكن ابن باديس دعا للجمع بين القول والفعل والإيمان والعمل مبينا أن طلب الآخرة وحده مذموم وأن العمل هو سبيل الخلاص من التبعية وهو سبيل البناء والتغيير فهدف الإصلاح عند ابن باديس ليس " مجرد محاولة باطنية لتقويم العقيدة بهدف طلب الآخرة وحدها دون أن تكون له علاقة بالدنيا، لأن عليه مسؤولية ربط العمل كقيمة عليا بمبادئ الدين الصحيح الدين بوصفه عملية التذكر والتفكير والعلم والتعليم وفقا لأوامر الله الداعية إلى العلم والعمل والتفكير" (درويش، 1995، ص 9).

وقد دعا ابن باديس الشعب الجزائري والتي هي أحسن واغتنم كل فرصة يجد فيها تجمعا شعبيا لتحقيق مبتغاه فيلقي خطبه التي لا تُنسى، كما أقام الندوات وألقى المحاضرات و ألقى الدروس والمواظ واستغل وسائل الإعلام لنشر أفكاره الإصلاحية والتحررية دون أن ننسى فضل جمعية العلماء المسلمين في تحقيق ذلك فقد عملت الجمعية "على تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال وإن تحرير العقول الأساس لتحرير الأبدان وأصل له ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا" (الإبراهيمي، 1997، ص 56) فالغرض من الإصلاح عند ابن باديس هو التحرر من الاستعمار الفرنسي، وأصدر أول جريدة وهي المنتقد سنة 1925 وقد كانت شديدة الانتقاد للاستعمار الفرنسي لذلك أغلقتها فرنسا بعد صدور 18 عددا فقط، فأصدر جريدة الشهاب والتي يواصل فيها نقده للاستعمار الفرنسي وقد كانت هذه الجريدة أسبوعية لكنها تحولت إلى مجلة شهرية. ودامت حتى سنة 1939 وقد أوقفها الشيخ من تلقاء نفسه بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية حتى لا تجرّه فرنسا على دعوة الجزائريين لمساندتها ضد دول المحور.

3-5 إعادة الاعتبار لمفهوم الوطن:

إصلاح مفهوم الوطن في عقول الجزائريين كان الخطوة الأولى التي، خطاها ابن باديس لأن المستعمر الفرنسي نجح إلى حد بعيد في تشويش أفكار الجزائريين حول مفهوم الوطن لأن السلطات الفرنسية " تمكنت بعد قضائها على الثورات المسلحة بالبطش والتكليل، أن تدخل في روع الجزائريين أن الأمة الجزائرية إنما وجدت بفضل فرنسا التي جلبت للجزائر الحضارة والثقافة والوعي السياسي، واستطاعت كذلك أن تفرض بالقوة والإكراه أفكارها الاستعمارية التي تعتبر الجزائر أرضا فرنسية "

(السلاوي، 1988، ص 211) وقد آمن نفر من الجزائريين بما تدّعيه فرنسا لذلك قرر ابن باديس التغلب على الأفكار المسمومة التي حاولت فرنسا بثها بين الجزائريين الذين كانوا يعانون من الجهل والأمية بل كان لزاما عليه أن " يعيد مفهوم الوطن إلى أذهان

الجزائريين بعد أن أضحت معالمه غائرة غير واضحة المعالم ، وبعد أن أصبحت كلمة الوطن لا تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي والاجتماعي لجهل أكثر الأمة بفحواها وعدم الشعور به" (السلوادي،1988،ص 211)
فقد كان غرض فرنسا هو محو الكيان الجزائري من الوجود ، لكن ابن باديس وقف عائقا ، أمامها وسد الأبواب في وجهها "لا حياة لك إلا بجياة قومك ووطنك و دينك ولغتك وجميل عاداتك" (ابن باديس،1926،ص ص ،177)

"اننا فتنشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة لحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ،ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها و أخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا و لا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها" (ابن باديس، ص 308). الجزائر بلد عربي مسلم لا يمكن أن يكون فرنسيا ولو رغب في ذلك، هذا النص نستشف منه حزم ابن باديس في إصلاحه لمفهوم الوطن الجزائري الذي حاولت فرنسا محوه وهذا ما يوافق فيه الرأي البشير الإبراهيمي "إن الجزائر ليست فرنسية و لن تكون فرنسية كلمات قالها أولنا ويقولها آخرا و مات عليها سلفنا وسيلقى الله عليها خلفنا ". (الإبراهيمي: ص349)

4- أهداف مشروعه الإصلاحي وتدابيره

استقلال الجزائر وحريتها، هو الهدف البعيد الذي سعى إليه ابن باديس وناضل بكل قواه من أجله ،لأن الاستقلال هو سقف البيت الذي شرع ابن باديس في بناءه منذ نعومة أظافره ، فالاستقلال مطلب طبيعي في نظره "إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا مع التاريخ ، وليس من العسير بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر". (ابن باديس، 1936،صص 145،146).
وقد تحقق الأمل على يد جيل الفاتح نوفمبر 1954. حق الحرية عند ابن باديس يرتقي إلى مستوى الحياة نفسها ويتضح ذلك من خلال قوله: "حق كل انسان في الحرية كحقه في الحياة ،ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المعتدي عليه في شيء من حريته كالمعتدي عليه في شيء من حياته" (ابن باديس،1936، ص548). فهو يقدر مطلب الحرية ويجعله حقا مشروعاً لكل الشعوب المضطهدة ويحث على ضرورة استرجاعها بأي ثمن.

بينما كانت المحافظة على الشخصية القومية للشعب الجزائري هدفه القريب لأن المحافظة عليها يضمن لنا سبل النجاة والتخلص من الاستعمار، يقول " نحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات و المميزات لجنسيتنا القومية ، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أن من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية واننا مازدنا على الزمان الا قوة فيها وتشبثا بأهدابها وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا" (ابن باديس . 1937) . وفي البصائر يقول مخاطبا الاستعمار الفرنسي " ان أبناء يعرب وأبناء

مازىغ قد جمع الاسلام بينهم منذ أربعة عشر قرنا ثم دأبت تلك القرون توحد بينهم فى السراء والضراء حتى كوت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر و أبوه الاسلام وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازىغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم فى ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله" (ابن باديس: 1936، ص2) من هنا نستخلص أن المحافظة على العروبة و الاسلام تشكل عناصر أساسية للشخصية الوطنية وقد دافع ابن باديس عن هذه المبادئ باستماتة .

ودعا لضرورة تغيير واقع الجزائر من خلال تبني فكرة الحكومة الإسلامية الديمقراطية ويصفه فهمي جدعان" بأنه واحد من أبرز المفكرين المعاصرين الذين تميزوا بالتفكير النقدي خاصة فى الجانب السياسى والاجتماعى وأنه كان فى مقدمة الذين انصرفوا من ناحية إلى دراسة القانون الوضعى الحديث ومقارنته بأحكام الشريعة الإسلامية ، ومن توصلوا إلى نتيجة هى استحالة تطبيق نظام الخلافة الشورية واستبدلوا بها فكرة الحكومة الإسلامية الديمقراطية الشورية وقد مثل هذا التحول عدد من المفكرين العرب القانونيين والسياسيين والعلماء مثل عبد الحميد بن باديس فى الجزائر وعبد الرزاق السنهورى وحسن البنا وعبد الرحمن البزاز فى العراق وعلال الفاسى فى المغرب..."(فهمي جدعان:1989 ص 344)

سعى ابن باديس لبناء قوة افتقر لها الشعب الجزائري زما طويلا، والمقصود بالقوة عند ابن باديس هى القوة المؤسسة على العلم أى " قوة العلم والمدنية والأخلاق وليست قوة الجهل الباطشة أو القوة المادية المدمرة، بل هى قوة العلم، إذ على العلم تبني الممالك وتشاد وهو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا وعليه تبني سعادة الإنسان وبالعلم ينظم الملك ويساس وهو سياج المملكة وراعيتها وهو سلاحها الحقيق وبه دفاعها وأن كل مملكة لم تحكم به فهى عرضة للانقراض والانقراض"(ابن باديس.1971. ص 420)

تميز ابن باديس بتفتحته وعلمه وجهاده ونشاطه المتعدد والمتنوع، الصحافى، والجمعوى، التعليمى، وكفاحه من أجل تحرير عقول الجزائريين قبل أبدأهم.

خاتمة البحث:

من خلال ما تقدم يمكننا الإجابة على المشكلة الأساسية من خلال أهم النتائج التى توصلنا إليها فى بحثنا والمتمثلة فيما يلى:

مفهوم الإصلاح عند ابن باديس لا يختلف عن مفهومه عند معاصريه، فهو يسعى لتعديل الاعوجاج والفساد الذى هيمن على عقول أبناء الشعب الجزائري أيام الاستعمار الفرنسى، كما سعى لتنقية عقيدته من كل الشوائب التى علقت بها.

دواعى الإصلاح فى منظور ابن باديس تتمثل فى نقد المشروع الاستعمارى الفرنسى بكل تداعياته بل وردع السياسة الاستعمارية بالدرجة الأولى.

تحديد الهدف الرئيسي من هذا المشروع وهو السعي الحثيث لاستقلال الجزائر وحررتها من قبضة الاستعمار الفرنسي وخلق قاعدة اجتماعية متينة يُعَوَّل عليها حيث، زرع البذرة الأولى لما يسمى الرأي العام في الجزائر وخلق كيان الرأي العام الجزائري بمعناه الصحيح، فقد زرع بذور الأمل لمستقبل واعد عماده الحرية والاستقلال.

حصر ابن باديس القوة التي سعى لخلقها بين أبناء شعب ضعيف في قوة العلم والمدنية والأخلاق لا قوة البطش والمادة والجهل لذلك نجده قد قضى سواده وبياضه في التعليم.

أثمرت جهود الجمعية ورائدها الشيخ عبد الحميد ابن باديس في نظرنا يوم اندلعت ثورة الفاتح نوفمبر 1954 وَقَلَّبَتْ الموازين التي كانت تزن بها فرنسا التي اعتقدت في احتفالها بالذكرى المئوية للاحتلال الجزائر أنها تمكنت من سلخ الجزائريين عن شخصيتهم العربية الإسلامية.

إذا استقرأنا الوقائع التاريخية نستنتج أن جهود عبد الحميد ابن باديس بعد وفاته أينعت على يد زملائه في الجمعية وكذلك على يد الجيل الذي علمه ودرسه وزرع فيه الروح الوطنية والعروبة والإسلام، ونستشف ذلك من خلال الموقف التاريخي الذي تبنته الجمعية بعد الإعلان عن ثورة الجزائر 1954 حيث تم الإعلان عن موقف الجمعية الداعم والمساند والمناصر للثورة على لسان "الفضيل الورتلاني بمعية الشيخ البشير الإبراهيمي" وذلك يوم 03 نوفمبر 1954 أي بعد الإعلان عن الثورة بيومين فقط صدر في الصحف المصرية بيان الجمعية بعنوان: "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء"

بالإضافة لبيان البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني نستحضر البيان الذي أصدره معلمي ومعلمات الجمعية والذي يخاطبون فيه الشعب الجزائري ويحرضونه على الثورة وعلى ضرورة مساندتها واحتضانها حتى يستعيد الشعب الجزائري كرامته وسيادته المغتصبة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن باديس. عبد الحميد (1971) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير جمع وترتيب محمد الصالح، توفيق شاهين ط 3 دار الفكر.
2. ابن باديس، عبد الحميد. (1968). التفسير / مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير جمع وترتيب ومراجعة وتعليق محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر
3. ابن باديس: حياته وآثاره، عبد الحميد بن باديس: ج 3
4. ابن باديس: من هدى النبوة جمع وتصنيف محمد الصالح رمضان، وتوفيق شاهين. الشركة الوطنية بالجزائر 1965 ص 169
 1. ابن باديس، عبد الحميد (1937): مجلة الشهاب ج 1 عدد مارس
 2. عبد الحميد بن باديس: مجلة الشهاب، ج 2 عدد فبراير
 3. ابن باديس، (1926) م، الشهاب، 23 أوت، عن عمار طالي، آثار ابن باديس، ج 3
 4. ابن باديس: البصائر السنة الأولى العدد 3 يناير 1936 ج 11 5. ابن باديس: الشهاب ج 10 يناير 1936
 6. ابن باديس: الشهاب، ج 3 يونيو سنة 1936
 7. أحمد. توفيق. المدني. (1963). كتاب الجزائر - ط ثانية دار الكتاب الجزائري
 8. الإبراهيمي، البشير. (1997). عيون البصائر ج 3 من الآثار جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي. ط 1. دار الغرب الإسلامي
 9. درويش. عبد الحميد. (1996). عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق 1889-1940 ج 2 مطبعة جامعة القاهرة
 - 10 سلوادي. حسن. عبد الرحمان. (1988)، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
 - 11 عمامرة. تركي رابح (1984). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط رابعة
 12. عمامرة. تركي رابح. (1981)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية طبعة ثانية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
 13. عمامرة. تركي رابح. (2003). عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط 2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر
 14. عمار، طالي. (1985) آثار عبد الحميد بن باديس، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 4 أجزاء
 15. فرحات عباس: ليل الاستعمار (ثورة الجزائر) تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، بدون تاريخ
 16. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام ط 1 يناير 1989
 17. مالك بن نبي (1969)، شروط النهضة، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت،
 18. الميلي محمد.. (1980). ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط ثانية
 19. كولجيت وفرانسيس جانسون. 1957. الجزائر الخارجة عن القانون، الترجمة العربية، تحت عنوان الجزائر الفائرة، دار الهلال القاهرة

20. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب / مج 2، بيروت، دار الصادر، 1990
21. معن زيادة 1988 الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني، ط
22. الجنرال بيجو 1959. نقلا عن مجلة المجاهد عدد خاص ط 2 وزارة الأخبار الجزائرية
23. الشيخ البشير الإبراهيمي. 1964 مجلة مجمع اللغة العربية العدد 21
24. عبد الحميد درويش: عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق ج 2 ط 1 مطبعة جامعة القاهرة 1995